

خطبه الجمعة - الخطبة ١٩٠٠ : زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم
لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٧٥-١-٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده ، وعنت الوجوه لعظمته ومجلده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه واعترته الطيبين الطاهرين .

الحديث عن سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين :

أيها الأخوة المؤمنون :
يا سيدي يا رسول الله .

يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ .

يا من قدست الوجود كله ورعيت قضية الإنسان .

يا من زكيت سيادة العقل ، ونهنت غريزة القطيع .

يا من هيأك نقوفك لتكون سيداً فوق الجميع ، فعشت واحداً بين الجميع .

يا من أعطيت القدوة ، وضررت المثل ، وعبدت الطريق .

يا من كانت الرحمة مهجه ، والعدلُ شريعته ، والحبُ فطرته والسمو حرفته .

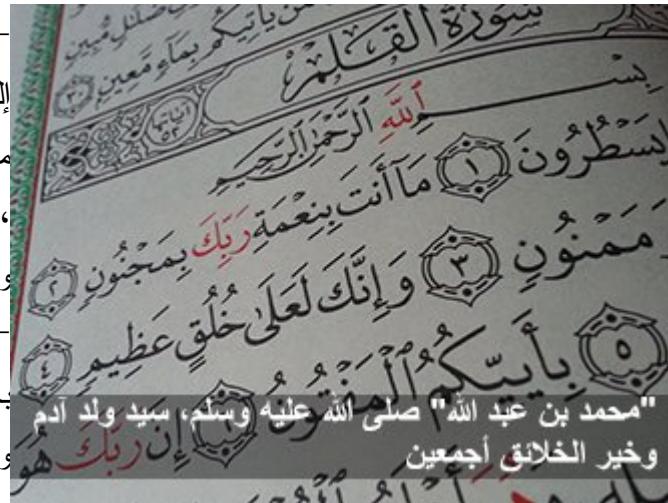
ألا إن الذين بهرتهم عظمته لمعذورين ، وإن الذين افتدوه بأرواحهم لهم الرابحون .

أي إيمان؟! ، وأي عزم؟! ، وأي مضاء؟! ، أي صدق ، وأي طهر وأي نقاء؟! .

أي تواضع ، وأي حب ، وأي وفاء؟! .

- ما الذي جعل سادة قومه يسارعون إلى كلماته ودينه ، متخلين بهذا عن كل ما كان يحيطهم به قومهم من مجد وجاه ، مستقبلين حياة تمور بالأعباء والصراع والصعاب؟ .

- ما الذي جعل ضعفاء قومه يلوذون بمحماه ، ويهرعون إلى رايته ودعوته ، "محمد بن عبد الله" صلى الله عليه وسلم، سيد ولد آدم وخير الخلق أجمعين إن ربكم هو هؤلئك أعزل من المال والسلاح؟



- ما الذي جعل صفة رجال المدينة ، ووجهاءها يفدون إليه ويبايعون على أن يخوضوا معه البحر والهول ، وهم يعلمون أن المعركة بينهم وبين قريش أكبر من الهول ؟
 - ما الذي جعل المؤمنين به يزيدون ولا ينقصون ، وهو الذي يهتف بهم صباح مساء ؟
 ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

[سورة الأحقاف]

- ما الذي جعلهم يصدقون أن الدنيا ستفتح عليهم من أقطارها ، وأن أقدامهم ستخوض خوضاً في تيجان الملوك ، وأن هذا القرآن الذي يتلونه في استخفاء سترده الآفاق ، عالي الصدق ، وفي الرنين ، لا في جيلهم فحسب ، ولا في جزيرتهم فحسب ، بل في مشارق الأرض ومغاربها .
 - ما الذي ملأ قلوبهم يقيناً وعزماً ؟
 إله محمد بن عبد الله عليه صلوات الله .

لقد رأوا رأي العين ، كل فضائله ، ومزاياه ، رأوا طهره ، وعفته واستقامته ، وشجاعته ، ورأوا سموه ، وحاناته ، رأوا عقله ، وبيانه رأوا كل هذا ، وأضعف هذا ، لا من وراء قناع ، بل مواجهة وتمرساً ، وبصراً وبصيرة .

لقد رأوه ، صلى الله عليه وسلم ، وقد دانت له الجزيرة العربية كلها ، وفتحت عليه وعلى أصحابه أبواب الرزق ، والغائم ، حتى تراكمت الأموال بين يديه ، تللاً ، فإذا هو هو ، لا يزداد إلا زهداً ، وت逞فاً وورعاً حتى أنه لقي ربه حين لقيه ، وهو لا يملك شيئاً من حطام الدنيا ، وحين يراه أحد الصحابة يسأله أن يوليه عملاً من تلك الأعمال التي ظفر بها غيره ، فيقول له في رفق :

((إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤْلِي هَذَا الْعَمَلَ أَحَدًا سَلَّهُ ، أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ))

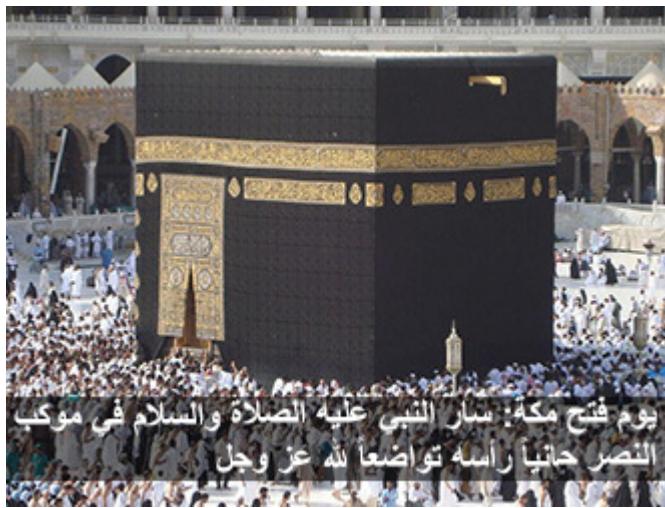
[أخرجه البخاري ومسلم عن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه]

وحيث يرونـه وأهل بيته أول من يجوع إذا جاء الناس ، وآخر من يشبـع إذا شبع الناس .
 دانتـ البلاد كلـها لدعـوته ، ووقفـ أكثر مـلوكـ الأرضـ أـمام رسـائلـهـ التي دـعـاهـمـ بهاـ إلىـ الإـسـلامـ .
 وجـلـينـ ضـارـعينـ ، فـما اـسـتـطـاعـتـ ذـرـةـ وـاحـدـةـ مـنـ زـهـوـ أوـ كـبـرـ أـنـ تـمـرـ بـهـ ، وـلـوـ عـلـىـ بـعـدـ .
 وـهـيـنـ رـأـيـ بـعـضـ الـقـادـمـينـ عـلـيـهـ يـهـابـونـهـ فـيـ اـضـطـرـابـ وـوـجـلـ قـالـ لـهـمـ :

عنـ أـبـوـ مـسـعـودـ الـأـنـصـارـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ : قـالـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :
 ((هـوـنـواـ عـلـيـكـمـ ، إـنـمـاـ أـنـاـ اـبـنـ اـمـرـأـ مـنـ قـرـيـشـ كـانـتـ تـأـكـلـ الـقـدـيدـ بـمـكـةـ))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

أـقـىـ كـلـ أـعـدـائـهـ السـلاحـ ، وـمـدـواـ إـلـيـهـ أـعـنـاقـهـ لـيـحـكـمـ فـيـهـ بـمـاـ يـرـىـ ، بـيـنـمـاـ عـشـرـةـ آـلـافـ سـيفـ تـتوـهـجـ
 يـوـمـ الـفـتـحـ ، فـوـقـ رـبـىـ مـكـةـ ، فـيـ أـيـدـيـ الـمـسـلـمـينـ فـلـمـ يـزـدـ عـلـىـ أـنـ قـالـ لـهـمـ .
 ((اـذـهـبـواـ فـأـنـتـمـ الـطـلـقـاءـ))



عمه أبو طلب ، وهو الرجل الوحيد الذي كان يقف إلى جانبه في المحنـة يـبدو أنه سـيـتخـلى عنه ، أو أنه غير مستـعد ، ولا قادر على مواجهـة قـريـش قال له عمـه : يا بنـ أخي ، إنـ قـومـكـ قد جـاءـونـي وـكـلـمـونـي فيـ أمرـكـ ، فأـبـقـ جـاءـونـي وـكـلـمـونـي فيـ أمرـكـ ، فأـبـقـ علىـيـ وـعـلـىـ نـفـسـكـ ، ولا تـحـمـلـني منـ الأمـرـ ما لاـ أـطـيقـ .

قال قـولـاـ تـنـهـدـ لـهـ الجـبـالـ ، قال :

((والله يا عـمـ لوـ وضعـواـ الشـمـسـ فـيـ يـمـينـيـ والـقـمـرـ فـيـ يـسـارـيـ عـلـىـ أـتـرـكـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـاـ تـرـكـتـهـ حـتـىـ يـظـهـرـهـ اللهـ أـوـ أـهـلـكـ فـيـهـ))

حتـىـ حقـهـ فـيـ رـؤـيـةـ النـصـرـ الـذـيـ أـفـنـىـ فـيـ سـبـيلـهـ حـيـاتـهـ حـرـمـ نـفـسـهـ مـنـهـ تـوـاضـعـاـ اللـهـ .
لـقـدـ سـارـ فـيـ مـوـكـبـ النـصـرـ ، يـوـمـ الفـتـحـ حـانـيـاـ رـأـسـهـ ، تـوـاضـعـاـ اللـهـ حـتـىـ تـعـذـرـ عـلـىـ النـاسـ رـؤـيـةـ وـجـهـهـ ، مـرـدـداـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ نـفـسـهـ ، اـبـتـهـالـاتـ الشـكـرـ الـمـبـلـلـةـ بـالـدـمـوعـ .
الـسـلـامـ عـلـيـكـ أـيـهـاـ النـبـيـ وـرـحـمـةـ اللـهـ وـبـرـكـاتـهـ ، وـالـسـلـامـ عـلـىـ عـبـادـ اللـهـ الصـالـحـينـ .

زيارة قبر النبي واجب على كل مسلم :

أـبـيـهـ الـأـخـوـةـ الـمـؤـمـنـونـ ؛ هلـ بـعـدـ هـذـاـ نـسـتـغـرـبـ أـنـ يـتـجـهـ فـيـ هـذـاـ عـامـ مـلـيـونـ مـسـلـمـ أـوـ يـزـيدـونـ بـعـدـ أـلـفـ وـثـلـاثـمـائـةـ سـنـةـ وـزـيـادـةـ مـنـ بـعـثـتـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، يـتـجـهـونـ مـنـ شـتـىـ بـقـاعـ الـأـرـضـ ، يـحـجـونـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ مـتـشـوـقـينـ إـلـىـ زـيـارـةـ النـبـيـ الـمـصـطـفـيـ الـعـدـنـانـ ، هـلـ نـعـجـبـ كـيـفـ يـزـدـادـ خـفـقـانـ قـلـبـ الـمـسـلـمـ حـيـنـماـ تـلـوحـ لـهـ أـشـجـارـ الـمـدـيـنـةـ ، وـهـلـ نـنـكـرـ عـلـىـ مـنـ يـقـولـ إـنـ نـسـيـ أـهـلـهـ وـأـوـلـادـهـ وـدـنـيـاهـ كـلـهـ ، حـيـنـماـ دـخـلـ الـحـرـمـ النـبـويـ ، هـلـ نـدـهـشـ إـذـاـ خـطـفـتـ أـنـوـارـ الـرـوـضـةـ النـبـوـيـةـ أـبـصـارـ الـزـائـرـينـ ، هـلـ نـسـأـلـ مـنـ اـقـتـرـبـ مـنـ مـقـامـهـ ، وـأـجـهـشـ بـالـبـكـاءـ مـاـ لـكـ تـبـكـيـ ؟ـ ، وـالـأـوـلـىـ أـنـ نـقـولـ لـمـ بـيـكـ مـالـكـ لـاـ تـبـكـيـ ؟ـ .

هـلـ نـعـجـبـ كـيـفـ تـصـبـحـ نـفـسـ الـرـازـئـ صـافـيـةـ مـنـ كـلـ كـدرـ ، نـقـيـةـ مـنـ كـلـ شـائـبـةـ بـرـيـئـةـ مـنـ كـلـ عـيـبـ .
وـهـذـهـ هـيـ حـقـيـقـةـ الشـفـاعـةـ الـتـيـ تـحـصـلـ لـلـمـؤـمـنـ فـيـ الدـنـيـاـ حـيـنـماـ تـتـجـهـ نـفـسـهـ إـلـىـ نـفـسـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـتـصـفـوـ وـتـسـمـوـ وـتـسـعـدـ ، قـالـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ :
عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـاـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ :
((منـ زـارـ قـبـرـيـ وـجـبـتـ لـهـ شـفـاعـتـيـ))

[أـخـرـجـهـ الـبـيـزـارـ فـيـ مـسـنـدـهـ]

وـقـالـ أـيـضاـ :

عن بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم))

[أخرجه الحارث في مسنده]

وليس هذا لغير رسول صلوات الله عليه .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ زياره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحج تهيئة واستعداد ليوم اللقاء الأكبر يوم عرفة ، وزيارتة صلى الله عليه وسلم ، بعد الحج ، رؤية جديدة ومحبة متزايدة ورد بالآخر :

" من حج البيت ولم يزرنـي فقد جفاني " " ومن وجد سعة ولم يزرنـي فقد جفاني " " ((ومن ذكرت عنـه ولم يصلـي على))



فقد جفاني))

[رواه الترمذى وأحمد]

عن علي وأبو هريرة رضي الله عنـهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
((ما بين بيـتي ومنـبـري روضـة من رياض الجنة))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذى]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنـهما عنـ النبي صلى الله عليه وسلم قال :
((من حـج فـزار قـبـري بـعـد موـتـي كـان كـمـن زـارـني فـي حـيـاتـي))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

وبينبغي لمن أراد زياره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكثـر من الصلاة والسلام عليه ، في مسـيرـه إـلـى المـديـنـة ، فإذا لـاحـت له مـعـالـمـها اـزـدـادـ صـلـاـة وـسـلـامـاً ، فإنـ شـارـفـها فـعلـيهـ أنـ يـدـخـلـهاـ ماـشـيـاً ، إنـ أـمـكـنـ ثـمـنـ يـغـتـسـلـ وـيـتـضـفـ ، وـيـلـبـسـ أـحـسـنـ ثـيـابـهـ ، وـيـتـطـبـ ، وـحـينـ يـطـلـ عـلـى الـحرـمـ النـبـوـيـ يـقـفـ قـليـلاًـ كـالـمـسـنـدـنـ ، وـعـنـ دـخـولـهـ المسـجـدـ النـبـوـيـ الشـرـيفـ يـقـصـدـ الرـوـضـةـ المـطـهـرـةـ ، وـهـيـ مـاـ بـيـنـ قـبـرـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـمـنـبـرـهـ فـيـصـلـيـ رـكـعـتـيـنـ تـحـيـةـ لـلـمـسـجـدـ ، ثـمـ يـدـنـوـ مـنـ مـقـامـهـ العـظـيمـ مـقـابـلـاًـ رـأـسـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـوـجـهـ الـأـكـرـمـ مـتـأـدـباًـ غـاـيـةـ التـأـدـبـ خـاشـعاًـ قـائـلاًـ : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله ، السلام عليك يا سيدى يا حبيب الله ، السلام عليك يا سيدى يا أشرف رسل الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين ، صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك وأزواجك وذربيتك وسلم تسليماً .

جزاك الله عنا وعن أمتك خيراً ، فقد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، وأوضحت الحجة ، وكشفت الغمة ، ونصحت العباد ، وجاهدت في سبيل الله حق الجهاد . وقد يتعطل اللسان ، ويختنق الجنان ، وتفيض الدموع .



وقد يسمع بعضهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم رد السلام أو يرونه صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي))

[أخرجه مسلم والترمذى وابن ماجة وأحمد]

روي أن بلاً رضي الله عنه سافر إلى الشام ، وطال به المقام ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد رأى في منامه وهو بالشام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : " ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني " فانتبه حزيناً وركب راحته ، وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يبكي عنده كثيراً ، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا له نشتئي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصرا عليه ، فصعد وعلا سطح المسجد ، ووقف موقفه الذي كان يقفه ، ولما بدأ بقوله :

" الله أكبر " وتنكر أهل المدينة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت المدينة ، وخرجت العوائق من خدورهن ، مما رأيت يوماً أكثر باكياً وباكية بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم .

أيها المسلمون ، احتلوا بعيد مولد نبيكم عليه الصلاة والسلام ، وأقيموا فيه الزينة ، ولا تقذوا الجانب في أعيادهم المجانية ، ولا في عاداتهم المسترذلة .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلانتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وفنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنك لا يذل من وليت ولا يعز من عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تُهينا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشرنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روؤساتنا ، وآمنا في أوطنانا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رحرياً ، وسائر بلاد المسلمين ، اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تنهك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك ، اللهم يا أكرم الأكرمين أعطنا سؤلنا ، واغفر لنا ذنبينا وارحمنا إنك أرحم الراحمين . اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء مولانا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلى كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين